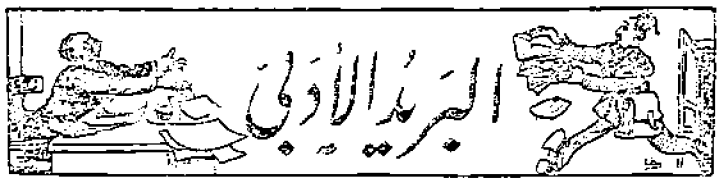

« وحي الرسالة »

تفضل صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم فبعث إلينا بهذه الرسالة الكريمة :

صديقي العزيز الأستاذ الزيات :

أتيح لي أن أستمتع ساعات بقراءة ذلك الكتاب النفيس : «وحي الرسالة» الذي تفضلت بإهداء نسخة منه إليّ. وليست هذه هي المرة الأولى التي أتعرف فيها إلى سمو أسلوبك، وبلاغة تعبيرك، واتساع أفق خيالك ؛ ولكنها قد تكون المرة الأولى التي ترتبط فيها وتتركز تلك الفصول ، والآراء ، والأفكار ، والمشاهد الفنية التي تمخضت عنها مواهبك ، فيضمها كتاب ينعكس على كل صفحة من صفحاته شعاع من جمال روحك ، وفيض من نبع ثقافتك ، وذكريات غالية عرفت كيف تحرص عليها وتحتفظ بها ، ثم تنشرها تذكرة للناس وموعظة لهم .

إن أدب المقال يا صديقي من فنون الأدب الكبرى . وقل أن تشهد أديباً خلاّ لم يضمن أدبه وعمله الفني آراء اجتماعية ونظرات فكرية ، واتجاهات ثقافية . و « وحي الرسالة » يحمل صورة نابضة حية من ذلك «الأدب الكبير» الذي أشرت إليه. فهو في الواقع مجموعة دراسات عميقة ناضجة للمجتمع ، وتصوير بارع للتطورات الخلقية والنفسية ، وإشارات دقيقة وجولات موفقة في الأدب والحياة ، استقرت عواطفك في أجمل بقاعها ، وتغنى قلمك الرصين بأبهج مفاتنها .

جميل منك إذن أن تحرص على تدوين هذه الذكريات الغالية، وتنشر هذه الفصول القيمة ، لتكون ذكرى للماضي ، وعظة للحاضر ، وإيماناً بالمستقبل .

المخلص
توفيق الحكيم

الأدب الجاهلي في فجر الإسلام

كتب الأستاذ سليم الجندي عضو المجمع العلمي العربي « بدمشق » مقالاً رائعاً عن المناهج التي تتبع في دراسة الأدب العربي ، تطرّق فيه إلى الردّ على بعض ما وهم الأستاذ أحمد أمين في بحثه عن الأدب الجاهلي في كتابه « فجر الإسلام» وقد رأينا أن من الخير لقراء الرسالة أن ننقل إليهم قسما من مقال الأستاذ ليتبادل أدباؤنا الرأي وتظهر الحقيقة .

قال الأستاذ الجندي : « وأنت إذا أنعمت النظر تبينت أن البلية كل البلية أتت اللغة من الكتاب الباحثين، وهؤلاء أتتهم البلية من التهاون في البحث وعدم الاستقراء . مثال ذلك أن صاحب فجر الإسلام قال في الجزء الأول من كتابه ص ٥٥ : إن ألفاظ اللغة في العصر الجاهلي كانت في منتهى الدقة والسمة إن كان الشيء الذي وضع له اللفظ من ضروريات الحياة في المعيشة البدوية . فالإبل خير مأكلهم ومشربهم ومركبهم وعماد حياتهم ، ولذلك لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة تتعلق بها إلا وضعوا لها لفظاً أو ألفاظاً

« وإذا انتقلت من الجمل إلى السفينة رأيت اللغة في غاية القصور فهم لم يوفوها حقها كما وفوا الجمل ، ولم يحصوا كل أجزائها ، ولم يضعوا اسماً لكل نوع من أنواعها . نعم إن هناك ألفاظاً تتعلق بذلك ، ولكنها لا تكاد تذكر إذا قيست بالألفاظ الموضوعة للإبل وشؤونها . بل إنك إذا فحصت الألفاظ المستعملة في السفن ومتعلقاتها وجدت كثيراً منها معرباً غير عربي كالسيابجة والياسرة ... وكثير منها لا نشك في أنه وُضع بعد العصر الجاهلي » انتهى كلام الأستاذ أحمد أمين

قال الأستاذ الجندي : « وأنت إذا رجعت إلى كتب اللغة تبين لك أن هذا الحكم قائم على استقراء غير تام ، وأن العرب في الجاهلية ما غادروا صغيرة ولا كبيرة تتعلق بالسفينة المعروفة في عهدهم إلا وضعوا لها لفظاً أو ألفاظاً غير ما أدخل بعد ذلك في العصور التالية ، وأنهم نعتوها وشبهوا بها

وإذا تذكرنا أن السفينة في ذلك العهد كانت تتألف من أجزاء بسيطة ، وليس لها أنواع كثيرة التفاوت في الأشكال والمقادير ، ونظرنا ما وضع لها ولأجزائها من أسماء ونعوت، وجدنا أن اللغة ليست في قصور في هذا الأمر .

انظر إلى دقة الوضع في التفريق بين الأنواع والأجزاء عند الجاهليين ، فإنهم قسموا ما يركبه الإنسان فوق الماء إلى أنواع . فإن كان من قرب تنفخ ويشد بعضها إلى بعض فتجعل كهيئة سطح فوق الماء سمي طوفاً ورمثاً، وربما كان من خشب أو غيره. وما عدا ذلك فهو سفينة . ويقال للسفن الصغيرة زورق وقارب

وركوة ومعبر . وللكبيرة : فلك وخلية وقرقور وماخرة ومصباب وجارية وجفل وعدولى . وما يتخذ للقتال منها بارجة

ووضعوا لكل جزء اسماً مختصاً به . فالسقائف ألواحها ، والدُسُر خيوط تشد بها الألواح أو المسامير ، والطائف ما بين كل خشبتين منها ، والشراع رواق السفينة ، والصارى خشبة فى وسطها يمد عليه الشراع ، والقلس حبل الشراع من ليف ، والصابورة ما يوضع فى بطنها من الثقل ، والمعابر خشب فيها يُشد بها الهوجل ، والمردى خشبة يدفع بها الملاّح ، والمقذاف خشبة فى رأسها لوح عريض تدفع به السفينة ، والمرساة حديدة تلقى فى الماء ، والكفر القير الذى تطلى به

وكذلك اختصوا كل قسم منها باسم : فالرمحة صدرها ، والكوثل مؤخرها ، والسكان ذنبها ، والجلة الموضع الذى يجتمع فيه الماء الراشح

وجعلوا لكل عامل فيها اسماً خاصاً به : فالملاّح سائس السفينة ، والدارى الملاّح الذى يلى الشراع ، والردفان ملاّحان يكونان فى مؤخرها ، والربان رئيس الملاحين

وقد وضعوا لكل حالة تعرض لها اسماً يميزها من غيرها ، فقالوا مخرت السفينة إذا جرت تشق الماء مع صوت ، وسخرت إذا أطاعت وطاب لها الريح ، ودسرت الماء بصدرها إذا عاندته ، وجمحت إذا تركت قصدها فلم يضبطها الملاحون ، وجنحت إذا انتهت إلى ماء قليل فلزقت بالأرض فلم تمض ، وماهت إذا دخل فيها الماء ، وكبت إذا جنحت إلى الأرض فحوّل ما فيها إلى أخرى ، وقمص البحر بها إذا حرّكها الموج . . . ولولا أن الإطالة تدعو إلى السأم لأتينا على كثير مما يتعلق بالسفينة . فلا يجوز بعد ذلك أن يُقال إن اللغة فى غاية القصور ، وإنما القصور فى البحث والتقرى . وإذا كان ما جُمع من كلام الجاهليين فى الجمل أكثر مما جمع فى السفينة فذلك منشؤه أمران : الأول أن صاحب المخصص إنما ذكر فيه ما أحاط به علمه فى السفينة ، وليس هذا كل ما يتعلق بها . الثانى أن للسفينة لا تساوى الجمل فى كل شىء فهو أكثر أجزاء وأطواراً وأعراضاً وأمراضاً وأغراضاً . . . والسفينة فى ذلك المعهد مؤلفة من أجزاء قليلة بسيطة .. الخ . اهـ »

هذا ما كتبه الأستاذ الجندىّ . والقارئ يلاحظ معنا أن الأستاذ أصاب الحقيقة، وبدّد الوهم الذى وقع فيه الأستاذ أحد أمين فما قول أولئك الذين يرمون اللغة بالقصور ؟ صموع العرب المجد

صفحة اللغة العربية فى العالم

نشرت جريدة « يوركشير بوست » البريطانية مقالة افتتاحية عن المركز الهام الذى تتبوأه اللغة العربية بين لغات العالم جاء فيها :

« للغة العربية جاذبية خاصة تجذب الشعب البريطانى فى الشرق ولقد كان هنالك فيما مضى كثير من المستشرقين ولكننا لا نغالى إذا قلنا إن بريطانيا هى التى أطلعت العالم فى الأعوام الأخيرة على أندر ثمار الثقافة العربية »

« كثيراً ما كانت الإمبراطورية البريطانية تعجز عن إدراك أهمية اللغة العربية، ومع ذلك فهى اللغة الرسمية فى مصر والسودان والمتغلغلة فى صميم أفريقيا حتى البحيرات العظمى . وهى اللسان السائد فى جميع أصقاع شبه جزيرة العرب، كما أنها أداة التخاطب فى العراق . وهى اللغة التى يستخدمها مسلمو الهند — إخواننا فى الرعوية وعددهم ثمانون مليون نسمة — كل يوم فى صلواتهم وفى تلاوتهم للقرآن الكريم . وهى تسد لغة مراكش ، والجزائر وتونس

وهى اللغة التى يستطيع بها العلماء فى إيران وأفغانستان أن يدرسوا أحاديث النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم . ولا تقل الحروف العربية انتشاراً عن الحروف الرومانية ، فهى ليست قاصرة على اللغة العربية وحدها ، وإنما هى أساس اللغات الفارسية والهندستانية ولغات البوشتو والهاوسا والأردية وغيرها من اللغات الشرقية

ولا مراء فى أن اللغة العربية من أعظم ينابيع المعرفة التى يغترف منها العالم

وبينما كانت أوربا تعيش فى ظلمات الجهالة كان علماء العرب فى بغداد وقرطبة خير أمناء على مدنية اليونان والرومان وأورثوها للعالم فيما بعد

ومما يبرهن على أهمية هذه اللغة العظيمة ، أنها كانت أولى اللغات التى استعملتها هيئة الإذاعة البريطانية. ويزداد عدد المتكلمين باللغة العربية يوماً عن يوم ، وتتسع حدودها . فهى لغة التخاطب فى زنجبار وتنجانيقا وفى بلاد بعيدة كجزر الملايو ، وتتبوأ اللغة العربية مكان الشرف فى مدرسة اللغات الشرقية بلندن

ولقد أدركت الحكومة البريطانية أهمية اللغة العربية، فلا تسمح